

اتجاهات حديثة في التربية

للمساهمة فنية سبام

عميدة الكلية ، ورئيسة قسم التربية وعلم النفس

قد تكون مناقشة اتجاهات التربية الحديثة من الأمور الصعبة العسيرة ، ذلك لأن مدلول التربية الحديثة غير محدود ، وغير مقيد بمعالم ثابتة من المعايير ، كما أن الفلاسفة وأنصار التربية الحديثة ، متفاوتون في درجة تمسكهم بالأسس التي تبنى عليها ، والمبادئ التي تسير على وفقها . على أن هذه الصعوبة وذلك التضارب ، يجب ألا يكونا مثارا للقلق ، فإن كل حديث لا بد أن يمر في مثل هذه المرحلة ، والوقت كثير بتقريب وجهات النظر التي لا بد أن تقارب كلما استمرت التجارب التربوية وظهرت نتائجها .

ولقد بدأت التربية الحديثة كطريقة . وانتشرت حركة تربوية واسعة في أنحاء العالم المتقدمين ، وقد يكون هذا هو السبب في تضارب الآراء حول تفسير معناها ، حيث أن انتشارها كحركة تربوية . أعطى تطبيق نظرياتها في المجتمعات المختلفة ، طوابع متباينة تترتب على الآراء الشخصية للبرين في تلك المجتمعات ، وعلى الظروف السائدة فيها ؛ ومن ثم كانت خير وسيلة لمناقشة اتجاهات التربية الحديثة ، ينبغي أن تبنى على البحث عن الأسس التي تقوم عليها ، تلك التي سوف تدلنا على اتجاهاتها الحقيقية . لا على البحث عن طرقها وأساليبها غير المحدودة وغير الثابتة .

ترتبط حركة التربية الحديثة إلى حد ما . بآراء الفيلسوف «جون ديوى» ، أو — على الأقل — يمكننا القول بأن فلسفة «جون ديوى» ، وآراءه في التربية — تلك التي بناها على مبادئ علم النفس الحديث — قد حددت معالم التربية الحديثة إلى مدى بعيد ؛ ولقد أيدت الأبحاث الحديثة في ميادين علم

الاحياء نظريات « چون ديوى » كما أبدتها أيضا النظريات الحديثة في علم الطبيعة التي أصبحت تعتبر الكون ديناميكيا متطورا ، وفي حالة صيرورة ، بدلا من اعتباره ستاتيكا جامداً ، وفي حالة كينونية . كذلك فإن التمسكات الحديثة آخذة في التخلّص تدريجيا من فكرة فرض المعايير والقيم الثابتة ، واعتبار الذكاء البشرى قوة لها القدرة على توجيه الأفراد إلى مستقبل أفضل ، وعلى مساعدتهم على التفكير المنطقي الذي يمكنهم من الاختيار الحكيم للقيم والمعايير ، وعلى البحث والتخطيط والتنفيذ ، تلك العمليات التي تعتبر حاليًا من أهم متطلبات الحياة الطيبة في المجتمعات المتحضرة .

أما الأسس التي ترتكز عليها التربية الحديثة فإنها تعتمد على العلوم المختلفة واتجاهاتها وفلسفتها تجاه فهم الكون ، وتفسيره ، وتحديد مركز الإنسان فيه . أما بالنسبة لوضع الإنسان في هذا الكون ووظيفته فيه فقد كانت العقيدة قديما ، ومنذ العصور البدائية ، هي أن الفرد مسير لاخير ، وأنه عبد تقوّة قوى فوق بشرية ؛ فلما كان الرجل البدائي غير قادر على تفسير ظواهر الطبيعة حوله ، فقد صور لنفسه أن هناك أرواحا غير مرئية تملأ الدنيا حوله ، وهذه الأرواح ترضى عنه تارة فيتموزرعه ، ويكثر ثمره ، ويفلح أبنائه ؛ وتغضب عليه تارة أخرى فيصيبه المرض ، وينزل به النحس ، وتلم به المصائب . وهكذا كان نجاح الرجل البدائي في الحياة — كما تصور — متوقفا على مدى قدرته على معرفة رغبات تلك الأرواح ، ومحاولة إرضائها باتباع هذه الرغبات ، فإذا ما وصل إلى معرفة الطريقة المؤدية إلى إرضاء الأرواح المسيطرة عليه وعلى وجوده ، فإن أمر تربية الجيل الجديد لديه أصبح سهلا ميسورا ؛ فما عليه — إذن — إلا أن يلقي النشء هذه الطريقة التي ترضى الأرواح ، وتكتسب بركاتهم ؛ ولذا كانت الطاعة من أهم الفضائل المرغوب غرسها في طباع النشء عند البدائيين .

وعلى مر التاريخ تلاشت العقيدة في تعدد الأرواح ، وأنت الأديان بفكرة الإله الواحد ، فاختلفت الأوضاع نوعا ، إلا أن المبدأ ظل كما هو دون تغيير .

إذا في وضع الإنسان كما كان، فهو خضع الموت، يمرره لا يجيد عن تعذيبه،
ونبت بقيت القرية الدينية حتى الآن مجرد تقييد لعقائد تطاع ولا تناقض.

على أن النهضة العلمية الأخيرة أعطت الإنسان وضعاً جديداً بالنسبة
لنفسه ووظيفته فيه، فقد حررته — أي الإنسان — من القيود التي كبلته آلاف
السنين وجعلته مستكناً راضحاً سيرا للقرى فوق البشرية؛ وبهذا التحرر
أصبح الإنسان — إلى حد بعيد — قابلاً على تمام تصرفاته، فإذا ما لاقى مشكلة
أرسلت به كارتة فإنه يقبل على ملاقاتها، ويغلب عليها عن طريق التفكير
المنطقي والتصرف الحكيم، لا عن طريق الصوات والتضرعات.

ولقد أثبت البحث العلمي أن الكائنات الحية على اختلافها متعددة
الطبيات، Multipotential، بمعنى أن طبيعتها، وصفاتها النهائية تترتب على
عوامل مختلفة تؤثر في تكوينها؛ فقد وجد — مثلاً — أنه يمكن تبديل
وضع الرأس والذنب في بعض الثدييات بتعرضها لتيار كهربائي، كما وجد أن
أب ذئبية (صغير الضفدع) يطرأ كما هو في طور أبي ذئبية، أو يتحول إلى
ضفدع يافع تبعاً لكمية الهرمون الدرقي الموجودة في جسمه؛ ولقد ثبت
عياً أيضاً أنه يمكن تغيير الجنس في الحيوان تبعاً للمؤثرات الخارجية، فقد
غير الجنس في أفراس الدجاج ونخام، كما عدنا آخر الأبناء العلمية أن
للإشعاعات الذرية أثراً على الجنس في عالم الحيوان، حتى لقد قيل إن الرجال
الذين يمضون جزءاً كبيراً من وقتهم في الأبحاث الذرية، قد يكتسبون بعض
صفات الأنوثة بعد فترة من الزمن إذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة.

ولما كان الإنسان حيواناً رقيقاً فهو — إذن — خاضع لما تخضع له
بقية الكائنات الحية من تغييرات. وهو خاضع لأثر العوامل الخارجية
الاجته به والتي تؤثر في تشكيل طبيعته إلى حد كبير، لذلك كانت عملية توجيه
النفس — التي تقع على عاتق الإنسان — تنصب من جانبه بمجهوداً شخصياً
لكي يوفق بين طبيعته، وبين البيئة المحيطة به. أما القدرة على التوجيه السليم

للنفس فهي من أولى الصفات التي تريد التربية الحديثة غرسها في كل طفل وذلك عن طريق التدريب على الاعتماد على النفس . وعن طريق الإرشاد في البيت والمدرسة .

ويرى المربون الحديثون أن هذه المشكلة نفسها — أى مشكلة توجيه النفس — تواجه المجتمع أيضا كما تواجه الأفراد ؛ ذلك لأن هناك عوامل متباينة تؤثر فيه ، فهناك ظروفه المختلفة من سياسية ، وثقافية ، وطبيعية ، واقتصادية ، وغيرها ؛ وهناك الأفراد المختلفون الشخصيات المكونون للمجتمع ، والذي لا بد أن يتناسقوا ويتعاونوا حتى يحيا كل منهم حياة سعيدة ناجحة ، وعلى هذا يتحتم على المجتمع أن يكيف حاله ، ويرسم الطريق إلى مستقبله ، ويعد العدة لملافاة مشكلاته ، وحلها حلا مبنا على التفكير المنطقي الذي لا يوجد له نظير أو بديل .

كذلك يهدف معتقو مذهب التربية الحديثة، إلى تربية الرجل الحر الذي لا يخضع رأيه أو تفكيره للقوى التي دأبت من قديم الزمن على محاولة السيطرة على الأفراد والتحكم فيهم ، كالملكوية . والعصية . والطائفية ، وسياسة الأحزاب ، والتقاليد ، والخرافات ، والدعايات . وما إلى ذلك من قوى كانت دائما ولا تزال تعمل في المجتمعات ، وتسيطر عليها وفق هواها وأغراضها ، وفي هذا يقول الأستاذ كالن ، (١) في مقال تربوي له : إنه يجب أن نغرس في النشء مذهب الحرية التي يعمل وفقها العلم الحديث ، ذلك المذهب الذي تحركه الشجاعة : الشجاعة في التفضيل والاختيار بين الأمور على أساس عادل سليم ، ودون تعصب أو غرض ، ثم الشجاعة في مجابهة نتائج هذا الاختيار وما ينجم عنه من أثر .

والتربية كعلم، كما أن التربية كطريقة - كما ذكر من قبل - تعتمد على العلوم الأخرى ونظرياتها وفلسفتها وأبحاثها في فهم ظواهر الكون، وتفسير دور الإنسان فيه. ويعتبر علم الطبيعة من أهم العلوم التي تعتمد عليها التربية؛ فإذا نظرنا إلى الأسس التي ارتكز عليها علم الطبيعة حتى وقت قريب نجد العقيدة التي كانت سائدة، هي أن قوانين الطبيعة ليست إلا حقائق مجردة أصيلة في الأشياء نفسها، وتتصف بالثبات والنهائية، وما على العقل البشري إلا اكتشافها، وتبويبها. على أن آخر ما وصل إليه البحث في ميادين الطبيعة أثبت أن الحقائق المجردة لا وجود لها، وأن فهم الظواهر الطبيعية، وتصنيفها، ووضعها في قوانين، ليس إلا من صنع العقل البشري الذي يميل إلى تفسير الأشياء وتبويبها، وفق أهداف معينة، حتى يتمكن من استخدامها والانتفاع بها، إما في تسخير طبيعة أو في فهم الكون. فالعقل البشري - إذن - هو العامل، والصانع، والمُدرك، والمكيف لهذه القوانين، وبالإضافة إلى هذا فإن جميع القوانين تقريبية Approximations فقط، ولم تخرج عن كونها في مستوى الفروض Hypotheses التي يمكن أن يعتمد عليها.

والآن فلننظر إلى أثر كل هذا في عالم التربية التي تعتمد - في الكثير من اتجاهاتها - على علم الطبيعة. كان علماء التربية يتجهون إلى اكتشاف القوانين التربوية، شأن عالم الطبيعة الذي كان يكتشف قوانينها، فقد شبه علماء التربية بعلماء الطبيعة واتبعوا اتجاهاتهم العلمية السائدة، وكانت محاولاتهم في تفسير الطبيعة البشرية، وطبيعة سلوك الإنسان عموماً، والكيفية التي يتعلم بها خصوصاً، وفي بحث شؤون التربية كلها، تدير على فكرة اكتشاف قوانين ثابتة مجردة ليس على المعلم إلا أن يعرفها، ويطبقها دون جد أو تفكير.

كذلك فإن علماء الطبيعة كانوا يفسرون العالم بأنه عالم مقرر، وبأنه في

حالة ثبات ونهائية . أى أنه عالم متاين لا يتغير . واعتبروا أى تغيير فيه نوعاً من الانحلال ؛ أما الآن فإنهم يفسرون العالم بأنه فى حالة صيرورة وتطور ، وبأنه عالم ديناميكى لاجمود فيه ، وأن للعالم صفة أساسية هى صفة « التطور الإبداعى » ، Emergent Evolution ، فقد تظهر فيه بعض الأشياء لها من الصفات ما لا يمكن توقعه ، وما لا يمت بصلة لصفات العوامل الداخلة فى تكوينها ؛ فالماء مثلاً مادة سائلة تكونت من تفاعل غازين هما الأيدروجين والأكسجين ، وللماء صفات خاصة لا تمت بصلة لا إلى صفات الأكسجين ولا إلى صفات الأيدروجين ؛ كذلك فإن نتيجة تفاعل الغازين لا يمكن أن أن يتنبأ بها أحد قبل حدوثها ، على هذا ينبغى تتبع دراسة الظواهر الطبيعية بدقة ، وتتبع العمليات والتفاعلات المختلفة ، وإجراء التجارب ، ورصد المشاهدات حتى يتمكن الباحث من الوصول إلى معرفة النتائج التى لا يمكن التمكن بها قبل حدوثها . وهكذا يتغير معنى العلوم تغييراً كلياً ، فبعد أن كانت تعنى مجموعة من الحقائق والقوانين التى يكتشفها الباحث وهو متأكد من أنه استكمل المعرفة فى نواحى بحثه ، أصبحت تعنى طريقة معينة فى البحث والتجريب مبنية على التفكير المنطقى .

ولقد استعان المربون بهذه الاتجاهات العلمية فى عالم الطبيعة ، كما استعانوا بطرقها فى البحث ، فنشأت أولاً حركات الاختبارات ، والتقنين ، والتحليل ، والإحصاء ، كاتجاهات ثورنديك والسلوكيين ، وبالإجمال كان العلماء التربويون يستعملون نفس طرق البحث العلمى فى المعامل رغبة منهم فى اكتشاف القوانين التربوية التى اعتقدوا أنها تسيطر على سلوك الإنسان ، وتسير عمليات العقل البشرى كالتعلم وغيره . أما علماء التربية الحديثة فإنهم — تمسحاً مع الاتجاهات العلمية الجديدة — اعتبروا العالم متطوراً دائماً التطور ، وهو فى حالة تغير مستمر ، على ذلك فإن الحياة البشرية — كما أن السلوك البشرى — إنما هى عمليات حيوية مستمرة ، لذلك ينبغى أن يدخل فى حسابان

البحث التربوي أن سلوك الإنسان - لنذى هو في حالة نشاط مستمر دائم - لا يتكن فضله في معمل تفحص واختبار . بل يجب أن يدرس وهو على طبيعته الديناميكية التي لا تفصل عن البيئة التي تتم فيها عملية السلوك ؛ لذا يجب دراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة حوله ، والعلاقة بين عقل الإنسان وجسمه ، وبين ما يؤثر فيه من مؤثرات وما ينتج عنها من ردود أفعال ، كما يدرس ذكائه ، وطرقه في التفكير ، وينظر إلى كل هذه الظواهر البشرية على أنها عميات مستمرة أطلق عليها التربويون الحديثون اسم « الخبرة » ، Experience ، وهذه الخبرة عمرة لا تتوقف إلا بتوقف الحياة .

وكما ذكر من قبل ، أثبت البحث الحديث في علم الأحياء ، أن الإنسان متعدد القابليات ، أى أن شخصيته ليست محددة التكوين ، ولا تنصف بالتحية ، Determinism ، وإنما تترب على البيئة التي ينشأ فيها . ولقد كانت الفكرة السائدة في بدء حركة التربية الحديثة ، هي تقديس الطبيعة الفطرية للطفل ، وذلك بعد ظهور آراء جان جاك روسو في كتابه « إميل » ، في القرن الثامن عشر الميلادي . وما ترتب عليه من مذاهب تربوية ، قالت إن الطبيعة تمد الطفل بقابليات ومواهب داخلية ما على المربي إلا أن يتعهدا بالتنمية حتى يمكنها التعبير عن نفسها في حرية تامة ، وهي العملية التي سماها المربون « التفتح من الداخل » ، Unfolding from Within ؛ على ذلك كان هدف التربية في ذلك الوقت هو تمكين الفرد من تحقيق ذاته ، والتعبير عن مواهبه . أما وقد ثبت أن الإنسان متعدد القابليات ، وأن طبيعته لا تنصف باختية ، وأن تكوين شخصيته يترب على مختلف العوامل المحيطة به في بيئته . فقد تغيرت نظرة علماء التربية فأصبحوا يرون الآن أن الخبرة التي أرادوا أن تفتح في طلبها شخصية الفرد من الدخول ، يجب أن تستبدل بها عملية التوجيه والإرشاد في البيت والمدرسة ، وأن طبيعة الفرد وميوله إنما هي نتائج لتجارب التي يمر بها ، وليست هبات فطرية ولد بها ونمت فيه وفتحت .

ذلك أيضا تغيرت نظرة علماء التربية نحو الذكاء البشرى ومستواه لدى المتعلم . فقد كانت العقيدة حتى عهد قريب هي أن مستوى الذكاء لدى الفرد « I.Q. » كم ثابت لا يتغير ؛ لكن علماء التربية الحديثة يرون أن ذكاء الفرد يتأثر بالبيئة المحيطة به ، وقد ذهب بعض العلماء إلى مدى أبعد ، إذ يقول العالمان « ويدر وپركنز » ^(١) Wheeler & Perkins إن التربية لا تساعد ذكاء الفرد على التعبير عن نفسه فحسب ، بل إنها تولد فيه الذكاء كما تولد الكهرباء من قوة اندفاع الماء في الشلالات النهرية . وترى آثار هذا الاتجاه نحو تفسير علماء النفس للذكاء البشرى ، واضحة في تطبيقات نظريات التربية الحديثة ، إذ أصبحت طرق التدريس كلها تهدف إلى تنمية التفكير المنطقي الذى يمتاز به الأسلوب العلمى فى البحث ، ذلك الأسلوب الذى يهتم بربط الأسباب بالمشيآت ، ودقة الملاحظة وشمولها . وفرض الفروض لحل المشكلات أو تفسير الغموض ، ثم اختبار صحتها بالتجريب والملاحظة وجمع المعلومات والاستنتاج ، والذى يمتاز بالمرونة ، والموضوعية ، وعدم التعصب لرأى أو مبدأ مجرد غرض أو ميل شخصى .

ومن أهم الأسس التى بنيت عليها تربية اخذت اتجاهاتها ، النظريات الحديثة فى دراسة الجهاز العصبى ، وفى مبادئ علم النفس . لقد اكتشف العالم « كوجيل ، Coghill » من أبحاثه فى تشرح الأنسجة العصبية فى الأجنة ، أن نمو الجهاز العصبى يحدث بحيث تسبق الأنسجة العصبية فى نموها فى الأطراف الأنسجة الأخرى ، وأن هذه الأنسجة العصبية لارجودة فى الأطراف إنما هى فروع من النخاع الشوكى الرئيسى ، ونست أنسجة تكونت فى الأطراف ثم التحمت بالنخاع بعد نشأتها . وهذا يعنى أن أحد العصبى المركزى يتكون

(1) Wheeler & Perkins, Principles of Mental Development, New York, The Thomas Y. Crowell Co. 1932 p.118 — 222

أولاً ثم تنزع منه الأعصاب في الأصرف فيس تكون أنسجتها العصبية ، وأن الحركات الأولى في الأطراف هي من عمل الجهاز العصبي . الرئيسي كلية ، إلا أن هذه الحركات تكتسب نوعاً من التقائية بالتدريج بعد ما يتم نمو الأطراف .

هذا ولقد قام العالم « لاشلي » K. S. Lashley (١) بتجارب معروفة في ميدان علم النفس الحديث ، على أعداد كبيرة من الفيران كان يعلم معرفة طريقها في متاهة ، وبعد تعلمها لطريق المتاهة كان يقوم بإتلاف أجزاء دقيقة في مواضع مختلفة من جهازها العصبي الرئيسي ، ثم يختبر مدى نسيانها لما تعلمته نتيجة لما أتلف من خلاياها العصبية . ولقد أراد « لاشلي » أن يكتشف المنطقة الخاصة في الجهاز العصبي الرئيسي التي يثبت فيها أثر ردود الأفعال الشرطية المنعكسة التي تحدث أثناء عملية تعلم الفيران لطريق المتاهة ، إلا أن تجاربه أثبتت أن الجهاز العصبي الرئيسي يتسم بأنه يعمل كوحدة أكثر من كونه يعمل كمجموعة مترابطة من المناطق العصبية التي يختص كل منها بعمل خاص . ولقد وصل إلى هذا الاستنتاج من تجاربه لأن إتلاف الأجزاء الدقيقة المختلفة في الجهاز العصبي الرئيسي للفيران ، لم يفقدها إلا جزءاً من قدرتها على معرفة طريقها في المتاهة ما يدل على أنه ليست هناك منطقة معينة بالذات في الجهاز العصبي الرئيسي خاصة بعملية تعلم المتاهة أو غيرها ، وإلا أفقدت الفيران القدرة على معرفة طريق المتاهة بالكلية عند إتلاف هذه المنطقة .

كذلك أثبتت تجاربه أن الفكرة التي نادى بها السلوكيون ، وتعد أنه بالتعلم يحدث بتثبيت ردود أفعال منعكسة لنفس المؤثرات في طريق عصبي واحد ، إنما هي أمر مشكوك فيه جداً . بل إن « لاشلي » يعتقد أنه من الخطأ

(1) Lashley, K.s. Brain Mechanism & Intelligence, University of Chicago Press. 1929.

أن يقال إن رد الفعل لأى مؤثر خارجى عندما يتكرر عدة مرات ، يسرى فى نفس الطريق العصبى فى المرات المتكررة .

ويتفق مذهب « الجشتالت » فى علم النفس مع نتائج هذه الأبحاث للعالم « لاشلى » ، إذ يقول مذهب « الجشتالت » إن الشيء « ككل » As a whole له صفات خاصة به لا تمت بحملة لصفات الأجزاء المكونة له ، فاليات مثلاً له صفات تميزه لاصلة لها بصفات مكوناته كالجدران والشبابيك والسقوف مثلاً . ولقد استمدت التربية الحديثة من هذه النظريات مبدأ آخر كان أساساً لاتجاه يعتبر من أهم اتجاهاتها ، وذلك هو معاملة الفرد على أساس أنه حى ديناميكى يتحرك تلقائياً كوحدة نحو هدف معين يبنى الوصول إليه ؛ ويعتبر هذا الرأى مناقضاً تماماً لاتجاه مدرسة السلوكيين الذين يعتبرون الفرد كائنات آلياً يتحرك ويسلك وفقاً لمؤثرات خارجية تسبب فى ردود أفعال منعكسة . ويفسر المربون الحديثون نظريتهم فى أن الفرد عبارة عن كائن حى متحرك نحو هدف يبنى هو الوصول إليه ، بأن حياة الفرد فى حالة تذبذب بين الاتزان وعدمه (١) . وتكون حياة الفرد فى حالة اتزان واستقرار إلا إذا قابله مشكل ما فيختل هذا التوازن لذا يتحرك الفرد نحو الحصول على الاتزان فى حياته مرة أخرى وذلك بالوصول إلى حل لذلك المشكل ، وهذا الحل هو الهدف الذى يسعى إليه ، وباستقرار حالة الفرد وعودة التوازن إليه ينعم بلذة النجاح وبلوغ الهدف .

ولما كان نشاط الفرد تلقائياً وموجهاً نحو هدف معين ، كما أنه لما كان البروتوبلازم — الذى هو مادة الحياة — يتميز بصفات مماثلة هى النشاط المستمر الموجه نحو النمو ، أصبحت كلتا النشاط الحيوى والنمو يعنيان شيئاً واحداً بالنسبة لأنصار التربية الحديثة الذين يرون أن هذا النمو

(1) Hilda Taba, The Dynamics of Education, New York, Harcourt Brace & Co. 1933

أو نشاط الحيوى يتجه على وفق نمط معين أسموه « القابلية للنمو ، Growth Potentia » ، وأن مهنة التربية الحديثة هى رفع مستوى هذه القابلية للنمو ، وذلك بتوفير الصحة الجيدة للمتعلم ، والعمل على إيجاد الاتزان العاطفى له ، وإبعاد أشباح الخوف والكبت عنه . وإحاطته بالبيئة المنشطة المهيئة لخلق الدوافع التى تدفعه نحو تحقيق غرض أو الوصول إلى هدف بشعره بنذرة لنجاح عند الوصول إليه . واعتبرت تربية الحديثة غياب الأهداف التى يرغب المتعلم فى أن يصل إليها من تلقاء نفسه ، بمثابة انعدام نشاطه .

من هذا يتضح الفرق بين الاتجاهات الحديثة والاتجاهات التقليدية فى التربية مرة أخرى ، فقد جمعت الأولى من المدرسة ميداناً للنشاط يأخذ المتعلم فيه دور المفكر ، والواضع للخطط . والمنفذ لها ، أما الثانية فقد جعلت من المدرسة مكاناً سلبياً ساكناً يتبع فيه متعلم ما يرسمه له المعلم من خطط دون أن يكون له رأى فى وضعها أو تفكير فى تنفيذها .

ويعتبر اتجاه المربين الحديثين نحو العناية بسلامة الصلات العاطفية لتلاميذهم ، من أحدث الاتجاهات التربوية . فقد كان المربون فى العهود السابقة يهتمون بتنمية عقل المتعلم فقط ، ثم بدأ اهتمامهم يتجه نحو العناية بحسبه وصحته بعد أن انضح أن النمو العقلى ، وتتقدم الدرامى يرتبان — إلى حد كبير — على حالة التليذ الصحية ، لذا عنت المدارس بتغذية الصغار فى المرحلة الأولى ، أما الآن فقد اتجه المربون نحو العناية بالنواحي العاطفية للصغار ، تركت التى اعتبروها لا تقل أهمية — إن لم تكن تزيد — عن النواحي لصحية . ويعتبر الاتزان العاطفى فى حياة الإنسان — فى ضوء ما استجد من أبحاث فى علم الحيوان وفى ميادين علم النفس — ذا أثر أكبر على تكوين شخصيته ، وعلى جميع نواحي حياته وكيانه . لقد أثبت التجارب الحديثة فى علم الحيوان أن الحيوانات على اختلاف أنواعها وعرجتها فى سلم التطور اجتماعية بطبعها ، وأن تجمعها وتعاونها ضروريان لسعادتها فى الحياة ونجاحها فيها . بل إن لها

كلية . كما ثبت من تجارب علم النفس أن كثيرًا من الأمراض الجسمية وعقمية ترجع إلى عدم العناية بالأفراد بالعطف الكافي أو الإفراط في العطف عييه ، على ذلك كان لابد من العناية بسلامة الصحة عاطفية Emotional Health للتعليم . وذلك بالاعتماد بأن تبنى علاقاته الإنسانية بمن حوله وفي بيته على أساس سليم . ولقد فترح بعض الكتب في علم الاجتماع وتربية (١) أن تكون العلاقات الإنسانية Human Relations أو كما سماها بعض : The Fourth R هي المادة الرابعة التي يجب العناية بها في تعليم الصغار في المرحلة الأولى ، بالإضافة إلى المواد الأساسية الثلاث The Three Rs . وهي الكتابة والقراءة والحساب .

ويهتم أنصار ثرية الحديثة بسلامة تكوين شخصية صغير ويعتبرونها أساساً للثرية السيمة ولتكوين المواطن الصالح ، لذلك رأوا ضرورة تعاون المنزل والمدرسة والمجتمع ، والعمل على وجود الانسجام والتوفيق بين الطريقة التي يعامل بها الصغير في كل من هذه البيئات الثلاث ، وذلك بعد أن ثبت أن كثيرًا من المشكلات المدرسية ترجع في أصلها إلى تضارب الاتجاهات بين المدرسة والمنزل . وبين المدرسة والمجتمع ، في معاملة الصغار . ولقد قطعت المدرسة الحديثة شوطا ليس بالقصير في هذه ناحية ، فتكونت جمعيات الآباء والمدرسين ، وحين لرعاية شؤون الصغار في المجتمع تضر المربين و"تقائم" بالإصلاح الاجتماعي وغيرهم .

ويتردد لفظ لتعلم الابتكاري أو التعلم الإبداعي Creative Learning كثيرًا على ألسنة المربين الحديثين إلا أن معناه ظل غامضًا وغير محدد . ذلك وجب تفسيره ويان ما يقصد به ، يقصد بالابتكار أو الإبداع الإتيان بشيء جديد غير معروف من ذي قبل . وسبق القول بأنه قد ثبت علميا أن تطور الإبداع ظاهري من ظواهر الكون الطبيعية ، لذلك يرى أنصار ثرية

(1) Ashby Montagu. On Being Human, Henry Schuman, New York, 1951.

حديثة أن خلاصة عملية العلم هي كشف عن معرفة جديدة لا علم له من قبل. وذلك بواسطة تفكيره وبمجهوده الشخصي. وهذا هو نوع التعلم الصحيح الشئ. إذ أن اكتشاف التعلم للمعرفة الجديدة بنفسه وبجهد شخصي. يشعر أنه بلذة النجاح التي تساعد على مواصلة الجهد لاكتشاف معارف جديدة. أو بالأحرى، لمواصلة التعلم. وكل خبرة جديدة يمر بها التعلم تكسبه، معرفة جديدة إنما هي درجة في سمة تتطور والنمو العقلي. وهذا هو ما يقصده المربون الحداثيون من التعلم الابتكاري أو التعلم الإبداعي. وهم بهذا يتجهون نحو تشجيع المتعلم للحصول على علم بواسطة مجهوده الشخصي وذلك بالاضلاع والتجريب والملاحظة والاستنتاج.

هذه — بالإيجاز — أهم الأسس التي تدعم نظريات التربية الحديثة. وتعطيها الاتجاهات التي حاولت إيضاحها في هذا مقال، ولا يمكننا حالياً الحكم على قيمة هذه الاتجاهات، ولا على مدى نجاحها. إلا بعد مضي وقت ليس بالقصير يتمكن المربون فيه من اختبار أثر هذه الاتجاهات على مستوى التعليم وعلى نتائجه في تكوين المواطنين، تلك التي سوف يظهر أثرها جلياً في نهوض المجتمع ورفاهيته أو في انحداره وتدهوره. وأهم ما يعنيننا هو أن واجب المربين يحتم عليهم عدم التعصب لأي أو مبدءاً. تعصبا يعصم عما يقوله أنصار المذاهب والآراء الأخرى التي لا يؤمنون بها.

1. A. Adler, Social Interest: A Challenge to Mankind, Putnam's New York, 1938.
2. S.E. Coghill, Anatomy and The Problem of Behaviour, New York, The Mc Millan Co. 1929.
3. A.E. Emerson, The Biological Basis of Social Co-operation, Illinois Academy of Science Transaction, Vol. 39, 1946.
4. H.S. Jennings, Biological Basis of Human Behaviour, New York, W.W. Worton & Co. 1938.
5. K.S. Lashley, Brain Mechanisms and Intelligence, University of Chicago Press, 1929.
6. Hilda Taba, The Dynamics of Education New York, Harcourt Brace and Co. 1935.
7. Wheeler and Perkins, Principles of Mental Development, New York, The Thomas Crowell Co. 1932.